الأسرة في نظر الإسلام

أسس الزواج الناجح وشروط بناء الأسرة المستقرة

أُمامة ممدوح

2024

الأسرة في نظر الإسلام

أسس الزواج الناجح وشروط بناء الأسرة المستقرة

الكاتبة

أُمامة ممدوح

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مع أن الزواج مطلب ديني وحاجة إنسانيّة؛ فهو أيضًا فكرةٌ رائعة ومثالية، لها أُنسٌ عظيمٌ كُلما ذُكرت، نُحبها، ونَفرح بالدعاء بها. فكلنا يشتاقُ إلى الحبِّ، لحظاتِ الولوع الأولى، دَفعةُ العاطفةِ الَّتي حَفظناها وصُنَّاها سنواتٍ طويلة.

إن الزواج سكِينة، تلكَ السكِينة الَّتي تسبقُ المَسْكن، والمودَة قبل المُباهاة، فهو يَطرد بالأَمن الخَوف، ويحتوي اللِّين الخِلاف، ويَحتضِن الأملُ الأَلم، ويَنعمُ الطَرفان بِبعضهما البَعض، كناقصِ الشيء طيلةَ حياتهِ وفجأةً يراهُ يكتمل!

تلكَ السكِينة أَنْ تَسُود البيتُ الألفةَ والرَّحمة، فَتشعر وكأَن روحًا واحدةً في جَسدين، قَلبين في صدرٍ واحدٍ، فيرى الرَّجُل زوجتهُ ابنتهُ أولاً، وترى المرأةُ زَوجها ابنًا آخر. هُو يحفظُ لها أُنوثتها؛ يُحبها، ويُدللها، ويُوفر لها مُتطلباتها كما يَجب ويكون رَجُلاً مسؤولًاً قوَّامًا فتحفظُ له بكل حبٍ قوامته؛ فلا تُفشي له سرًا، ولا ترفضُ له أمرًا؛ تعلم جيدًا أنه جنتها ونارها.

أَنْ تتشابك الأيادي في الخَير، وتسيرُ الأقدامُ في البِرّ، ولا تَنسى العُيون معروفًا. أَنْ يَكُون زوجًا كريمًا فلا يبخل، وتَكُون زوجةً أصيلة لا تُنكر.. تلكَ هي السكِينة، وهذه هي المثاليّة.

فلقد شَرَّع الله عز وجل الزَّواج لنَهرُب من وحدةِ أنفُسنا لنعمِّرها مع غيرنا، ونَأنَس مِن وحَشتِنا مع من يُشبهنا، ونقوى على عثراتِ الأيامِ بجوار من يَقبلُنا ويَتقبلُنا بكلِ حُبٍ ورضا.. وذلكَ هو المِيثاق الغَليظ، تِلكَ هي المَودة والرَّحمة والسّكِينة الحقة.

1- شروط اختيار الزوج والزوجة في الإسلام:

- أهمية الدين والأخلاق في الاختيار:

الأَصلُ في معيارِ اختيار الزُّوج هو الدِّين والخُلق، والإسلام حدد ضَوابط لإختيار الزُّوج الصَّالح أو الزَّوجة الصَّالحة، وهي تلكَ الَّتي تَبني حَياة زَوجِية سَعيدة تُفيد المُجتمع والأُمة،

الدِّين وحُسن الخُلق أهم الضّوابط الَّتي وضعها الإِسلام للرَّجُلِ والمَرأة عند اختيارِ شَريك الحياة.

يجبُ على المرأةِ أَنْ تَختارَ زوجاً ذا خُلقٍ ودين؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ".

فإذا وُجِد في الخَاطب حُسنُ الخِلقةِ، مع ضعفِ دينه، ووُجِد من هو أقوى منه ديناً، قُدِّم صاحبُ الدِّين ولو كان غيرُ مميزٍ في جمالِ خِلقته، قال الله تعالى: "وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ".

ولا خَير في زوجٍ يكونُ حظُّ المرأةِ منهُ النَّظرُ في وجهه، دون أن تستفيدَ منه خلقاً أو ديناً، بل قد يكونُ سبباً في انتكاسها، وضياعِ دينها.

قال الله تعالى في وصف الزوجة الصالحة: "فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ".

فالآية تشير إلى عُنصر الصَّلاح عِند المَرأة وما يُؤديه ذلكَ مِن مُحافظتها على حقِ زَوجها ومَاله وعِرضه الذي هُو عِرضُها، وهنا ما يجب الإنتباه إليه في هذه الآية؛ وهو أَنّ اللهَ تعالى قد حَفظَ الزَّوجات مِن الوُقوعِ في الحَرام، وهي فطرةُ اللهِ تعالى في النِّساء، فالمرأةُ بطبيعتها ليست كالرَّجُلِ، إذ أَن طبيعته الإندفاع أما المرأة طَبيعتُها الإحتجاز، وهذه الطبيعة في المرأة لا تُفارقها إلا إذا فَقدت عُنصر الحياءِ وهو علامةُ

الإيمانِ الظَّاهرة، والآية واضحة الدلالة في ذلك: فإن كانت صالحة قَانتة فهي حافظةٌ لحقِ زوجها بسببِ حفظ الله لها من الوقوعِ في الحرام.

- حق الزوجين في القبول والرضا:

حق الزوجين في القبول والرضا هو من الأسس الهامة في الزواج، فمن المقرر أن يكون الاختيار مبنيًا على الدين والخُلق كأصل، ولكن مع ذلك لا يمنع أن ينظر كل من الزوجين إلى الصفات التي تُرَغِّبُهما في بعضهما، مثل الصفات الشخصية والجمالية.

وبالنسبة للرجل، فالأصل أن يختار ذات الدين، لكن من الطبيعي أن يبحث أيضًا عن صفات أخرى تجذبه، مثل الجمال والمظهر، لأن الإسلام لا يفرض التغاضي عن هذه الأمور تمامًا.

وكذلك المرأة، تُشجع على الزواج من الرجل صاحب الدين والخُلق، مع مراعاة الصفات الأخرى التي تساهم في التوافق مثل الاستقرار المالي والشخصية التي تُحبّذها.

إن هذا التوازن بين القبول على أساس الدين والأخلاق وبين الاهتمام بالصفات الأخرى يعكس الرغبة في بناء علاقة صحية ومستدامة تقوم على الرضا والقبول المتبادل.

2- كيفية المحافظة على الأسرة في الإسلام:

الأُسرة في الإسلام لها شَأنٌ عظيم يَتبينُ من خلالِ حرصِ الإِسلام على إِرساء وتَثبِيت الأُسرة والمُحافظةِ عَليها مِمّا يُؤذِيها، والمُحافظةُ على تَماسُكها مع إِعطاء كُلِ فردٍ من الأُسرةِ دوراً مُهماً للمُحافظةِ على هذه الأُسرة.

- دور المودة والرحمة في استقرار الحياة الزوجية:

يَقُول اللهُ تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".

إن المَودة والرَّحمة هُما عُنصرانِ أساسيانِ في تعزيز الحُبِّ والتعاونِ في الحياةِ الزوجية،

المَودة تُمثل الحُبّ والمشاعر الإِيجابية بين الزَّوجين، حيثُ يتشاركانِ اللحظاتِ الجميلة والصعبة معًا بصدقٍ واهتمام.

بينما الرَّحمة تُشير إلى التعاونِ والرعايةِ المُتبادلة، حيث يُقدمُ الزوجانِ الدَّعم والمُساعدةً في الأوقاتِ الصَّعبة ويُظهرونَ اللُّطفَ والتّفهمَ تِجاه بعضهما البعض.

وعِندما يكونُ هُناك تَوازنٌ جيد بين المَودة والرَّحمة، يُصبح لديهِما علاقةً زواجيةً تتسمُ بالإِستقرارِ والسَّعادة.

إِن تعزيزَ هَذينِ الجانبينِ في حياتِهما الزوجية يُمكِن أَن يُساهم في بناءِ علاقةٍ مُستدامة ورائعة تَحتَضِنُ الحُبَّ والتعاونَ بشكلٍ كبير.

إِنَّ المَودة والرَّحمة هُما ركيزتانِ أَسَاسيتانِ تُشكِّلانِ الأساسَ القَائمَ لنجاحِ الحياةِ الزوجية.

إِنَّ المَودةَ تُمثلُ الحُبَّ والإِحساسَ الإِيجابي العميقْ الذي يَتبادلُ الزوجانِ في علاقتهما..

يشملُ ذلك اللَّحظاتِ الجَميلة الَّتي يُمضيانها معًا، والرومانسيةَ الَّتي تملؤُها علاقتهما..

أمَّا الرَّحمة، فتُمثل التعاونَ والإِهتمام المُشترك، حيثُ يَعتني الزَّوجانِ ببعضهما البعض ويُقدمون الدَّعم والتفهُم في الأوقاتِ الصَّعبة.

- حقوق وواجبات كل من الزوج والزوجة تجاه الأسرة:

إِذا كَان أساسُ الزَّواجِ في الإِسلام أَن يَقُوم أولاً على المَودة والرَّحمة إِلا أَن هُناك حُقوقًا تِجاه كُلٍ مِن الزَّوجين نَحو الآخر، فالزَّوجةُ فلها على زَوجِها عِدةُ حُقوقٍ؛ منها حُسن المُعاملة وحُسن الخُلقِ وأَن يَكُون خَيرُهُ لأهلهِ أولاً، وأَن يُنفقَ عَليها مِن سِعته في طَعامِها وشَرابِها وكِسوتها.. إلخ.

وقد ورد في نصوصِ القرآن ما يعضدّ ذلك، من ذلك قوله تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا".

أي أَنه في حالةِ عدمِ وُجود المَودة يَنبغي أَن يَكُون هُناك مُعاملةٌ بالحُسنى بينَ الزَّوجينِ، ويقول تعالى أيضاً: "فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ".

كذلك وردت أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تَحُض الأَزواج على مُعاملةِ الزَّوجات بالودّ والمُعاملة الكَريمة، فقد ورد حديث رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً".

أما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم يَوم حِجة الوَداعِ فقد أُكد فِيها على مُعاملةِ النِّساءِ بالرأَفة والرَّحمة والإِستِيصاء بِهنّ خيراً، فَقد روى عمرو بن الأَحوص قال: حَدّثني أبي أَنّه شهِد حِجة الوداعِ مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فحمدَ اللهَ وأثنى عليهِ وذكّر ووَعظ فَذكر في الحديث قصة فقال: " ألا واستوصوا بالنِّساءِ خيرًا ، فإنما هُنّ عوانٌ عِندكم، لَا تملكون منهُنّ شيئًا غير ذلك، إلا أَن يَأتِين بفاحشةٍ مُبينة، فإِن فَعلنّ فاهجروهُنّ في المضاجِعِ واضرِبُوهُنّ ضربًا غير مُبرِح، فإِن أطعنكُم فلا تبغُوا عليهِن سبيلاً.. ألا وإِن لكُم على نِسائكُم حقًا ولنسائِكُم عليكُم حقًا، فَأمّا حقُكُم على نِسائِكُم فَلا يُوطئن فِراشَكُم مَن تَكرهون ولا يَأذنّ في بُيوتكم لمن تكرهون، أَلا وحقهُنّ عليكُم أَن تُحسنوا إِليهنّ في كِسوتهن وطَعامِهن.

وكَما أَن للمرأةِ حقوقًا على زَوجها يَنبغي أَن يُؤديها تِجاهها، فَإِن للزوجِ أيضاً حقوقًا على زوجته، يَنبغي عَليها أَن تُقدمها لهُ وتُؤديها كَامِلة، مِنها أَنّها تَحفظُ غَيبتهُ عنها، وأَن تَكُون طائعةً لهُ فِيما أمرها اللهُ به، بِما لهُ عليها مِن فضلِ القوامة، يقول الله تعالى: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّه"، فالزَّوجُ لأنّهُ المُكلف بالإِنفاق على المَرأةِ في

الإِسلام، وبِما لَهُ مِن مواصفاتٍ أخرى تُعطيهِ فَضل حِمايتها ورعايةِ شُؤونها، فلَهُ أيضاً فضلُ القوامةِ عَليها والطّاعة له فيما أحلّ الله.

هذا وقَد أوجزَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ حقّ الرَّجُل على المَرأةِ ومَدى الجزاءِ الذي تُلاقِيه المَرأة مِن طاعتِها لزوجِها ومَنحِهِ وأَهلِ بيتها الحُقوقَ والواجبات تِجاهها وذلكَ في الحديث الذي روته أسماء بنت يزيد الأشهلية الأنصارية والتي تحدثت نيابةً عن نساءِ أُمتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنَعلمَ مدى حُقوقِهنّ وواجباتهِنّ، وقد روى عنها الحديث مسلم بن عبيد: أَنها أَتت النبيّ صلى اللهُ عليه وسلم وهو بين أصحابهِ فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله، أنا وافدةُ النساءِ إِليك، إن الله عز وجلّ بعثك إِلى الرِّجال والنِّساءِ كافةً، فآمنا بكَ وبإلهك، وإِنا معشرُ النِّساء محصوراتٌ مقصورات، قواعدُ بيوتكم، ومقضى شهواتِكُم، وحاملاتُ أولادِكُم، وإِنكُم معشر الرِّجال فُضلتم علينا بالجمعِ والجَماعات، وعيادة المَرضى، وشهود الجنائز والحجّ بعد الحجِّ، وأفضلُ مِن ذلكَ الجهادُ في سبيلِ اللهِ عز وجل، وإن الرَّجل إِذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مُجاهداً، حفظنا لكُم أموالكم، وغزلنا أثوابكُم، وربَينا لكم أولادكم أفما نُشاركك في هذا الأجر والخير؟

فالتفتَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة بوجههِ كُله، ثم قال: هل سمعتُم مقالةَ امرأةٍ قط أحسن من مُساءلتها في أمر دينها مِن هذه؟ فقالوا: يا رسولَ اللهِ ما ظننا أن امرأةً تهتدي إِلى كلِّ هذا فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: افهمي أيتُها المَرأة، وأعلمي مَن خلفكِ من النساء، أَنّ حُسن تَبعُل المَرأةِ لزوجها وطلبها مرضاتِه، واتباعُها موافقته، يعدُل ذلكَ كُله، فانصرفت المَرأة وهي تهلل.

وبذلكَ كَانت طاعةُ المَرأة لزوجِها وقِيامُها بِواجباتِها نَحو بيتِها وزوجها وأَولادها يعدلُ جِهادَ الرَّجُلِ في سبيلِ الله.

وهكذا نظَّم الإسلامُ العِلاقةَ بين الزَّوجينِ من حيثُ المَودة والطّاعة للزّوجة ورعايةِ الزَّوجِ لأُسرتهِ وزوجتهِ وأَنّ خَير الرِّجالِ خَيرُهم لأهلِ بَيته.

3- عوامل نجاح الزواج في الإسلام:

يُؤمنُ الإِسلامُ بأهميةِ الزواجِ في حياةِ الإِنسَان، ويَحُث عَليه بِوصفهِ وَسِيلة لِتحصينِ الفَرجِ، وَبِناءِ المُجتمعِ، فَالزَّواج مِن وِجهةِ نَظرِ الإِسلام هُو الطَريقةُ الوَحيدةُ لِتَلبيةِ الرَّغبةِ الجَسدّية، وإِنجابِ الأَطفالِ الَّذينَ سَيكُونونَ فِيما بَعد بُناةَ المُجتمعِ وأَعضاءِ الفعّالينَ، ولأنّ الدّين الإِسلاميَ

مُدركٌ لعظمةِ الدورِ الذي تقُوم بهِ الأُسرة والتي يُعِدُها اللبِنةَ الأَساسيةَ في المُجتمعِ الذي يَصلُح بِصلاحِهَا ويَفسَدُ بِفسَادِها، فَقد جَعل للزَّواجِ أُسسًا تُبنى عَليها، تَضمن هذه الأُسس اسْتقرارَهُ وأَمانه، لِينعكِس هَذا التّماسُك على المُجتمعِ بأكملهِ.

- أهمية التواصل والتفاهم بين الزوجين:

التوَاصُل بينَ الزَّوجينِ عَمليةٌ يَتبادلُ خِلالها الشريكانِ مَشاعِرهما وأفكَارهُما وتَطلعاتِهما، بهدفِ التوصّل إِلى تسوياتٍ ناجحةٍ تُساهمُ في تلبيةِ حاجاتِ كلٍّ مِنهُما، وتُؤدي إِلى نجاحِ زواجِهما واستقراره.

التوَاصُل بينَ الأزواجِ يُعزز مِن الحُبِّ والتفاهُم في مَا بينهما، فالتوَاصُل يعني أَن يَكُون لغةٌ أخرى خاصةٌ بالأزواجِ، والتي تُبنَى مَع الوقتِ، لا نَعني بالتوَاصُل الكَلام العذبَ والجميل بين الأزّواج فقط بَل الأَحادِيث الجِدية، وتعابيرُ الوجه وحَتى الإِيماءاتِ الجَسدية.

التوَاصُل الفعّال هُو المفتاح لعلاقةٍ قويةٍ وصِحية، وهو الذي يُساعدُ على ازدهارِ العلاقةِ بين الَّزوجينِ ويُعينهما على الإِرتقاءِ عبر درجاتِ سُلّمِ التوافقِ الزَّواجي؛ مما يزيدُ مِن عُمقِ التآلف والترابُط والحميمية بينهما،

هَذه العَلاقة هي علاقةٌ مُستمرةٌ ودَائمةٌ ومُتجددة يحدثُ فيها دومًا وباستمرارٍ تبادلٌ للرسائلِ بين طَرفي العِلاقة.

وهذه الرَّسائل الَّتي قد تكونُ ماديةً أو معنوية، لفظيةً أو غير لفظِية، وحسبِ نوعيةِ الرَّسائلِ ومُحتواها تَتحددُ جودةُ العِلاقة وعُمقها؛ فلو كَانت الرَّسائلُ المُتبادلة بين طَرفي العِلاقة إِيجابية، تُخبر شريكك أنكَ مهتمٌ بِه وحريصٌ على سعادتهِ وراغبٌ في تلبيةِ احتياجاتهِ بالصورة التي تُرضِيه، كَانت هذه الرَّسائلُ سببًا في دعمِ أواصِرِ المَودةِ بين الزَّوجينِ، أمّا إِذا كَانت هذه الرَّسائلُ سلبيةً تُخبر شَريكَ أنكَ لا تهتمُ إِلا بِنفسكَ ولا تحرصُ عليهِ وعلى تلبيةِ احتياجاته فإِنها تُصبح سَببًا في هدمِ أَواصرِ المَودةِ والرَّحمةِ بين الزَّوجين.

إِن التوَاصُل الفعّال بَين الزَّوجينِ يَهدفُ إِلى تَلبيةِ احتياجاتِ طَرفي العِلاقة بَالقدرِ الكَافي، وبالطرِيقةِ الَّتي تترُكُهم رَاضِينَ بِما فيهِ الكِفاية؛ لأنّ أي عِلاقة لا تُلبي احتياجاتِ أطرافِها لا يُمكننا أَن نَعتبرهَا عِلاقةً نَاجحة ولا يُمكن أَن تَستمِر حَتى لو استسلمَ أَحدُ الطرفينِ ووافقَ لفترةٍ تطولُ أو تقصُر عَلى أَن يَكُونَ الطرف الخَاسر في العِلاقة، الذي يُقدمُ كُلّ شيءٍ ولا يحصلُ في المُقابلِ على أي شيء.

ومِن هَذا نَخلُص إلى أَنّ التوَاصُل الفعّالِ هُو أكثَر مِن مُجرد كلماتٍ تُقال، فَهُو يعني: مَاذا تقُول، وكَيف، ولِماذا، ومَتى، ومَا الّذي يجبُ ألا تقُوله.. وكُل واحدٍ مِنا يَحتاجُ لاكتسابِ مجموعةٍ كَبيرةٍ مِن المَهارات حَتى يُصبح قَادرًا عَلى التّوَاصُل الفعَّال.

- دور الصبر والتضحية في تخطى التحديات الزوجية:

إنّ مِن أَهم دعائِم الحَياةِ الزّوجيةِ هُو الصبرُ والإيثار والتضحِية، فالزَّوجانِ يعملان في بناءِ أُسرةٍ إنسانيةٍ، ولا يُمكن أَن يتمّ البِناءُ إلا بأن يَكُون عَملُهما مُتَّصفًا بالتضحيةِ والإيثار والتسامُح والتحمُل، وإن غَاب الإيثارُ والتسامُح والتضحِية مِن جو الأُسرةِ فلن تجدهُ في جوٍّ آخر.

ومِن أَهم الأَسلحةِ القوية الَّتي تُساهم بنسبةٍ كبيرةٍ في تَخطي الأَزماتِ والمُشكلات بينَ الزَّوجينِ هُو سِلاحُ الصّبرِ، حيثُ يعملُ الصّبر عَلى مُواجهة الأزماتِ وحَل الخِلافاتِ بينَ الرّجُلِ والمَرأة حَتى تَمُر الحَياةُ الزوجيةُ بِكُل حُبٍ وسَلام، وبِالصّبر تَنحلُّ العُقد والمَشاكِل وتُساعد الزَّوجينِ في مُواجهةِ الخِلافاتِ مَهما كَانت صَعبةٌ وتُحفز مِن الإنتصارِ عَليها والعيشِ في هنا وسَعادة وعلاجُ كافةِ المشاكل الَّتي تتعرضُ لهَا الحياةُ الزَّوجية.

ووُجود المَودةِ والأُلفة بينَ الزَّوجين قَد يَحتاجُ أحياناً إلى الصّبر وإلى التغافُل عَن بعضِ الأُمور والنَّظرِ إلى الجوانبِ الطيبةِ في أخلاقِ الطَرف الآخر، قال تعالى: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا".

- عند الضعف المادى: تظهر معادن التربية وحقيقة الإيمان:

هُنا تَظهرُ مَعادنُ النِّساءِ ، فَصاحبةُ الدِّينِ والخُلقِ تَجِدُها أَفضلَ مَا يَكُون في الشَّدائِد، فالصَّبر مِن أَهمِ الصّفاتِ الَّتي لابُد أَن تتَّصِفَ بِها الزَّوجة إذا حَلَّ بِالبيتِ مُشكلةٌ أو ضِيق، لأنّ البِناءَ ليس كَالهدمِ، فَالأَمرُ يَحتاجُ إلى جُهدٍ وصبرٍ وطولِ نفسٍ، حَتى يستطيعُ الزَّوج الوُقوف عَلى أَقدامِهِ مِن جَديد ، وكُل شَيءٍ في أَولهِ شَاق.

يَقُول اللهُ تعالى: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ"، قَال ابنُ كثيرٍ رَحمهُ اللهُ: أي يُكابد أمرًا مِن أُمورِ الدَّنيَا، وأمرًا مِن أُمورِ الآخرة، يُكابِدُ مضايقَ الدُّنيا وشَدائِد الآخرة.

ودور المَرأةِ الإيجابي يَظّهرُ في قُوتِها في الشَّدائِد، فَهي الَّتي تَقُوم بِدورٍ إيجابِي تِجاهَ زَوجِها وقتَ المِحن، فإن كَانت مُيسّرةَ الحَالِ قَدمت لَهُ مَا تَقدِرُ عَليهِ مِن دَعمٍ مَاديٍ وعَاطِفي، وَبِجُهدها وطَاقتها لِينهضَ مِن جَديدٍ، وإن كَانت لا تَملكُ ماَ تدعمهُ بِه، فَعليهَا دَورٌ مُهمٌ للغايةِ هُو الدعَم النَّفسي وهَذا رُبَّما يَكُون أَهم، عَن طريقِ تقويتهِ، وبثِ الأَملِ فيه، وتَذكيرهُ بِالصّبرِ والرِّضا،

وعَليها نَشرُ حَالةٍ بيئيةٍ في بيتها مِن الهُدوءِ والإستقرارِ والقَناعةِ، وتذكيرُ أُسرتِها بِمن هُم أَقلُ حالاً وأكثر مُعاناة، وتَذكيرهُم بالنِّعمِ الَّتي يَملكُونها بِمنةٍ مِن اللهِ وفَضل، وعليها وضعُ خطةٍ هي وأولادِها في تَرشِيدِ طَلباتِهم وحَاجاتِهم الَّتي يُريدونَه ، فَيتكاتفُ الجَميعُ للمُرورِ مِن نَفقِ الأَزمةِ المُؤقتةِ، المُهم في النِّهاية إِشعارُ الزَّوجِ بأَنّ الأُسرةَ كُلها يدً واحدة، قَانعةً وصَابرةً مَعهُ وقتَ أَزمتهِ وضِيقه.

أمَّا حُسن الظَّنِ باللهِ فَهو واجبٌ عَلى الأُسرةِ في حَالِ الأَزمة وغيرها، فَعلى المَرأةِ أَن تُحسِنَ الظَّنّ بِهِ سُبحانهُ، وتتيقنُ بِأنّ الفَرج قَادمٌ، وأَنّ هَذهِ المِحنة مَا هي إِلا وقتٌ قَليل، وفترةٌ مُؤقتة، فتُذكرهُ دائمًا أَن مَع العُسرِ يَأتي اليُسر ومَع الضِّيقِ يَأتي الخَير، والإِكثارِ مِن الدُّعاءِ في حَالاتِ الضِّيقِ كَنزٌ

عَظيم، فَاللهُ يُحب العبدَ اللّحُوحَ في الدعَاء، فَبالدُّعاءِ يُرفع البَلاء، وتَنفرِجُ الأَزمَاتِ وتَهونُ الآلام، وإِذا وقَع الضِّيق، فَعلى الزَّوجةِ الكِتمان وعَدمُ التَّحدثُ بِأسرارِ بيتِها لِلحفاظِ عَلى صُورةِ زَوجِها وَتماسُكِ أُسرتِها، فالحديثُ لا يُفيد، وإِن كَان مِن بَابِ طَلبِ العَونِ ، فالعونُ لا يَكُون إِلا مِن اللهِ سُبحانَهُ وحده لتَخطِي المُشكلات، بل إِنّ طَلبَ العونِ مِن العِبادِ والإِتكالِ عليهِم والَّتعلُق بِهم لا يحُلُّ مُشكلةً بأي حالٍ مِن الأحوال .. بَل قد يُفاقمُها ، فاللهَ سُبحانَهُ هو الرَّحيم وهو القَادِر عَلى تَغيير الأُمور، فَالأمر يَجبُ أَن يكُونَ للهِ تَعالى مَع الأخذِ بِكلِ الأسبابِ المُمكِنةِ للحلِّ،

وَسيأتي يومٌ قريبٌ وتَمُر هَذه الأَزمة، وساعتها لن يَنسى لها أحدٌ وقفتها في المِحنةِ وسيذكُر لهَا زوجُها ذَلِكَ بكلِ وضوحٍ ، فإِن أحَسنت سيرتفعُ قَدرها عِندهُ ، وإِن خَيّبت ظنَّهُ فِيها ستسقُط حتمًا مِن ناظريه!

والزَّوجةُ الذَّكِية تستطيعُ استغلال الموقِف، سعيًا وراءَ تعديلِ أَفكارِ أَبنائها ،وتربيتهُم بعض الشيءِ على خُشونَةِ العيشِ، لقولهِ صَلى اللهُ عليهِ وسلم: "اخشوشنوا فإنّ النِّعمةَ لا تَدُوم"، فَتأخذُ درسًا مِمَّا حَدثَ، وتُعلمُ أَبناءها قَدر النِّعمة، وكيفيةِ المُحافظةِ عَليها وأَن الشُّكرَ للنِّعمةِ سببٌ في دَوامِها.

إنّ أوقاتَ الضِّيقِ عادةً مَا تكُونُ أوقاتَ ذروةِ الخِلافاتِ الزَّوجية، وربَّما كَانت السَّببَ الأَول مِن أسبابِ الطلاق في كثيرٍ مِن الأحيانِ ، فلابدّ مِن سِعةِ الصَّدرِ لدى الطّرفينِ ، والتماسِ العُذرِ للزَّوجِ عند غَضبهِ، وتَذّكُر حَسناتِه وخَيراتِه وقتَ الرَّخاء..

إذنّ لابُدّ مِن القناعةِ بِأنّ السّعادةَ لا تكُونُ بعُلوِّ الجاهِ ولا كثرةِ المالِ، ولكن السَّعادة هي سعادةُ القلبِّ ، ولَن يسّعَد القلبُ إلا بِالإيمانِ، والعَملِ الصَّالِح، واللجُّوءِ إلِى اللهِ، والتّوكُّلِ عَليه، والإِخلاصِ لَهُ؛ فذلِكَ طريقُ السُعداءِ ودَربُهم.

وأخيرًا أقول: تُعرف المَرأةُ عِند فَقرِ زوجها.. وَمعدنُ الزَّوجةِ الصَّالحةِ يَظهرُ فِي الشَّدائِد.

4- أهمية الأسرة في الإسلام كمؤسسة اجتماعية:

الأسرة في الإسلام تُعدّ من أعظم اللبنات الاجتماعية التي أولاها الشرع اهتمامًا كبيرًا، فهي أساس بناء المجتمع الصالح والفرد السوي، ولقد وضع الإسلام للأسرة أُسسًا وقواعد راسخة تهدف إلى تحقيق الاستقرار الاجتماعي وتربية الأجيال على القيم السامية.

فالأسرة هي أول بيئة يتعلم فيها الإنسان المبادئ والقيم، ومن خلالها يتم نقل تعاليم الإسلام وأخلاقه من جيل إلى جيل.

- دور الأسرة في تربية الأبناء وغرس القيم الإسلامية:

تربية الأبناء مسؤولية عظيمة تقع على عاتق الأبوين، فهي ليست مجرد تقديم الطعام والملبس، بل هي عملية شاملة تهدف إلى تنشئة الأطفال على حب الله وطاعته، وغرس الأخلاق الحميدة والقيم الإسلامية في نفوسهم، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ" (التحريم: 6)، فالله يأمر المؤمنين بأن يحرصوا على وقاية أنفسهم وأهليهم من عذاب النار من خلال التربية الصحيحة وغرس الفضائل في أبنائهم.

كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (متفق عليه)، مما يدل على أن كل فرد في الأسرة، وخاصة الوالدين، مسؤول عن رعاية أبنائهما وتوجيههم للطريق الصحيح، وعلى الأبوين أن يعملا على تعليم أبنائهم المبادئ الإسلامية منذ الصغر، بما في ذلك الصلاة والصدق والأمانة وحب الخير للآخرين.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر" (أبو داود)، وهذا يؤكد ضرورة التدرج في تعليم الأبناء العبادات وتدريبهم على القيام بها حتى تصبح جزءًا من شخصيتهم.

إن دور الأسرة لا يقتصر على التعليم الديني فحسب، بل يمتد إلى زرع الأخلاق والقيم التي تجعل الأبناء أفرادًا صالحين في المجتمع.

ويجب على الأبوين أن يكونا قدوة حسنة لأبنائهم، فالأطفال يتعلمون من خلال الملاحظة والتقليد، وإذا رأى الأبناء والديهم يتصرفون بأخلاق رفيعة ويتبعون تعاليم الإسلام، فإنهم سيتبعون نفس النهج.

- تأثير الأسرة على استقرار المجتمع:

الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، فإذا كانت الأسرة صالحة ومستقرة، فإن المجتمع سيكون كذلك، فالإسلام يعتبر أن استقرار الأسرة هو من أهم مقومات استقرار المجتمع، ولهذا السبب شرع الزواج وجعله أساسًا للعلاقة بين الرجل والمرأة، قال الله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً" (الروم: 21)،

فالأسرة المبنية على المودة والرحمة تُنتج أفرادًا قادرين على مواجهة تحديات الحياة، وهي حجر الزاوية في خلق مجتمع متماسك وقوي.

إذا نجحت الأسرة في تربية الأبناء على القيم الإسلامية، فإن هؤلاء الأبناء سيصبحون في المستقبل أعضاءً نافعون في المجتمع، يسهمون في بنائه وازدهاره، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (الترمذي)، وهذا الحديث يشير إلى أن من أهم مظاهر الإحسان هو الإحسان إلى الأسرة، فالشخص الذي يكون خيرًا لأسرته سيصبح نافعًا لأمته.

الأسرة أيضًا تؤدي دورًا محوريًا في الحد من الظواهر السلبية في المجتمع مثل الفقر، والجريمة، والتفكك الاجتماعي.. فإذا تم غرس قيم العدل، والرحمة، والتعاون في الأسرة، فإن هذه القيم ستنعكس على المجتمع بأكمله، حيث يُصبح المجتمع مكانًا آمنًا ومستقرًا.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (مسلم)، وهذا يبين أن الترابط بين أفراد المجتمع يبدأ من الترابط بين أفراد الأسرة الواحدة.

الخاتمة

لا شك أن الإسلام أولى الأسرة اهتمامًا كبيرًا لما لها من دور أساسي في بناء الفرد والمجتمع، فالأسرة الصالحة هي التي تربي أبنائها على القيم الإسلامية، وتنشئهم ليكونوا أفرادًا صالحين يسهمون في استقرار المجتمع وتقدمه.

لذا يجب على كل مسلم ومسلمة أن يحرصوا على بناء أسرهم على أسس الإسلام، وأن يتعهدوا أبنائهم بالتربية الصالحة، فصلاح الأسرة هو صلاح المجتمع.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	4
1- شروط اختيار الزوج والزوجة في الإسلام:	5
- أهمية الدين والأخلاق في الاختيار:	5
- حق الزوجين في القبول والرضا:	7
2- كيفية المحافظة على الأسرة في الإسلام:	8
- دور المودة والرحمة في استقرار الحياة الزوجية:	8
3- عوامل نجاح الزواج في الإسلام:	13
- أهمية التواصل والتفاهم بين الزوجين:	14
- دور الصبر والتضحية في تخطي التحديات الزوجية:	16
- عند الضعف المادي تظهر معادن التربية وحقيقة الإيمان:	17
4- أهمية الأسرة في الإسلام كمؤسسة اجتماعية:	20
- دور الأسرة في تربية الأبناء وغرس القيم الإسلامية:	21
- تأثير الأسرة على استقرار المجتمع:	22
الخاتمة	24